العتبة العباسية المقدسة

ذكرى عقيلة الطالبيين

١٥ / رجب الأصب / ١٤٣٥هـ

نشرة ثقافية موسمية يصدرها قسم الشؤون الفكرية والثقافية / شعبة الإعلام / وحدة الدراسات والنشرات في العتبة العباسية المقدسة

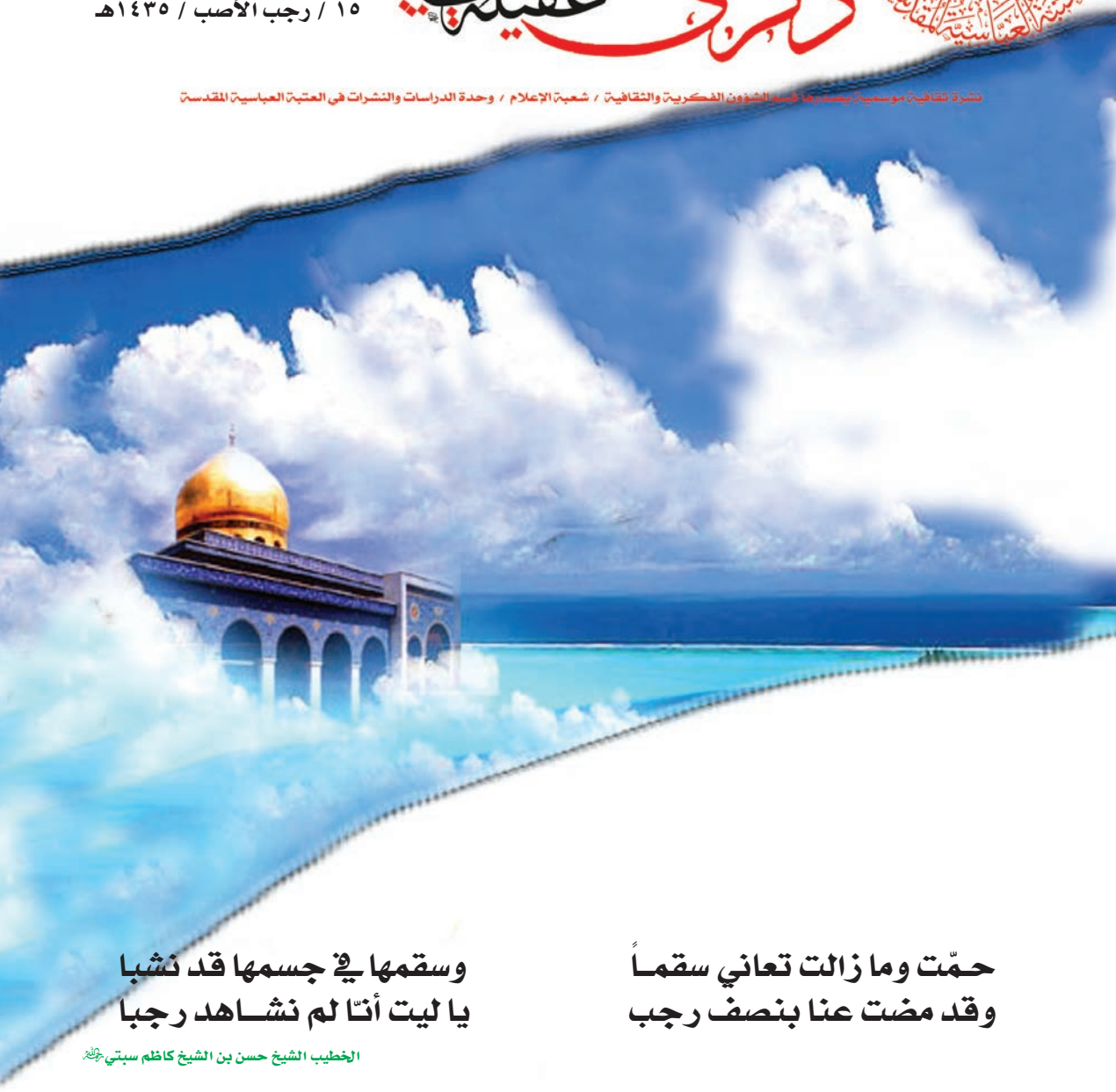

حمّت وما زالت تعاني سقماً
وقد مضت عنا بنصف رجب

وسقمها في جسمها قد نشبا
يا ليت أنّا لم نشاهد رجبا

الخطيب الشيخ حسن بن الشيخ كاظم سبتي رحمه الله

إلى الرفيق الأعلى

إعداد / الشيخ علي السعيدي

إذا كان الموت شبحاً مرعباً لكل إنسان، وإذا كانت مفارقة الحياة أقسى وأشد ما يزعج الإنسان، فإن الأمر كان مختلفاً لدى السيدة زينب(عليها السلام)..

فالموت بالنسبة لها كان يعني لقاء الله والاقتراب أكثر من رحمته، والموت عندها قنطرة ومعبر إلى جنة الله الرحبة الواسعة ونعيمه السرمدي الخالد، وأنه وسيلة نقل سريعة توصلها إلى رحاب أحبتها السابقين حيث تلقى جدها النبي(صلى الله عليه وآله) وأمها الزهراء وأباها المرتضى وأخويها العزيزين (عليهم السلام).

لقد طال فراقها لجدها المصطفى(صلى الله عليه وآله) وأمها البتول(عليها السلام)، فامتلأت نفسها شوقاً إلى لقائهما لكن ستار الحياة يفصل بينها وبينهما، فمتى يماط هذا الستار ليكتحل ناظرها برويتهما؟

والموت بعد ذلك أصبح الوسيلة الوحيدة للسيدة زينب(عليها السلام) للإعلان عن احتجاجها ورفضها وسخطها على واقع الألم والضيم والعناء.. لكن الأمر بيد الله فهو وحده يقرر الآجال وبيده الموت والحياة..

وحينما قدر الله تعالى لها الرحيل عن دار الدنيا، استقبلت قضاءه بصدر رحب، فذلك ينسجم مع ما يجري في أعماق نفسها من مشاعر وخلجات.

واسلمت الروح لله.. ورجعت نفسها المطمئنة إلى الحق راضية مرضية لتدخل جنة الله بسعادة وهناء ولتلاقي صفوة عباده الأعزاء محمد وفاطمة وعلي والحسن والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين).

لا يمكننا تصوير مدى سعادة الحوراء(عليها السلام) بعروج روحها إلى الملكوت الأعلى.. هل نشبّه تلك اللحظات بوصول المسابق إلى نهاية شوط السباق ناجحاً منتصراً؟ فهو وإن كان حين الوصول في غاية التعب والمشقة لما بذله من جهد، لكنه فور وصوله سينقلب إلى حالة أخرى هي ذروة السعادة ومنتهى الراحة.

نعم.. لقد أكملت العقيلة زينب(عليها السلام) امتحانها بنجاح، وقطعت شوط الحياة الصعب بإخلاص ويقين، وطوت ستة عقود من سنيّ الدنيا في جهاد رسالي متواصل.

واختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاتها، والأرجح عند كثير من الباحثين أنها توفيت سنة (٦٢هـ) الموافق (٦٨٣م)، بينما ذهب آخرون إلى أن وفاتها سنة ٦٥هـ. ويتفق المؤرخون على أن وفاتها كانت في الخامس عشر من شهر رجب. وللمزيد عن هذا الموضوع انظر المصادر الآتية: زينب الكبرى(عليها السلام)، للنقدي. مع بطلة كربلاء، لمَغنيّة. السيدة زينب(عليها السلام)، لبنت الشاطئ.. وغيرها.

مواقف زينبية

إعداد / محمد النصراوي

في كربلاء

لقد كان للعقيلة زينب عليها السلام في واقعة كربلاء مكانٌ بارزٌ في جميع المواطن، فهي التي كانت تشفي العليل وتراقب أحوال أخيها الحسين عليه السلام ساعةً فساعة، وتخاطبه وتسأله عند كلّ حادث، وهي التي كانت تدبّر أمر العيال والأطفال، وتقوم في ذلك مقام الرجال.

والذي يلفت النظر أنّها في ذلك الوقت كانت متزوّجة، فاختارت صحبة أخيها وإمامها على البقاء عند زوجها، وزوجها راضٍ بذلك، وقد أمر ولديه بلزوم خالهما والجهاد بين يديه، فمَن كان لها أخ مثل الحسين عليه السلام وهي بهذا الكمال الفائق، فلا يستغرب منها تقديم أخيها وإمامها على بعلها.

وقد ندبت عليها السلام أخاها الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، فقالت: بأبي مَن فسطاطه مقطّع العُرى، بأبي مَن لا غائب فيُرتجى ولا جريح فيُداوى، بأبي مَن نفسي له الفداء، بأبي المهموم حتّى قضى، بأبي العطشان حتّى مضى، بأبي مَن شيبته تقطر بالدماء، بأبي مَن جدّه محمّد المصطفى...) (اللهوف في قتلى الطفوف: ٧٨).

في الكوفة

لمّا جيء بسبايا أهل البيت عليهم السلام إلى الكوفة بعد واقعة الطف.. أخذ أهل الكوفة ينوحون ويبكون، فقال حذلم بن ستير: ورأيت زينب بنت علي عليها السلام، فلم أرَ خَفِرة (عفيفة) قطّ أنطَقُ منها، كأنّها تُفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أومأتْ إلى الناس أن اسكتوا، فارتدّتْ الأنفاس، وسكتتْ الأصوات، فقالت: (...أمّا بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والخذل، فلا رقأت العبرة، ولا هدأت الرنّة، فما مثلكم إلّا كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً، تتّخذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلّا الصلف النطف...) (الأمالي للمفيد: ٣٢١).

في الشام

أرسل ابن زياد -والي الكوفة- السيّدة زينب عليها السلام مع موكب السبايا -بناءً على طلب يزيد- ومعهم رأس الحسين عليه السلام وباقي الرؤوس إلى الشام، فعندما دخلوا على يزيد دعا برأس الحسين عليه السلام فوُضع بين يديه، وأخذ يضرب ثنايا الإمام الحسين عليه السلام بقضيب خيزران، فقامت عليها السلام له في ذلك المجلس، وخطبت خطبتها العظيمة والمدوية قائلة: (أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الأُسراء، أنّ بنا على الله هواناً، وبك على الله كرامة؟!...) إلى أن قالت: (فإلى الله المشتكى، وعليه المتّكل، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا...) (مثير الأحزان: ٨٠).

زهد الحوراء عليها السلام وعبادتها

إعداد / منير الحزامي

الزهد في الشيء خلاف الرغبة فيه، وزهد الإنسانُ في الشيء أي: تركه، فهو زاهد. قال الصدوق رحمه الله في معاني الأخبار: الزاهد مَن يحب ما يحب خالقه، ويبغض ما يبغضه خالقه، ويتحرج من حلال الدنيا، ولا يلتفت إلى حرامها. وعن النبي صلى الله عليه وآله: (أزهد في الدنيا يحبك الله، وأزهد فيما أيدي الناس يحبك الناس). وعنه صلى الله عليه وآله: (إذا أراد الله بعبد خيراً زهّده في الدنيا، وفقّهه في الدين، وبصّره عيوبها، ومَن أوتيهن فقد أُوتي خير الدنيا والآخرة).

أما زينب عليها السلام فقد كانت في بيت زوجها عبد الله بن جعفر، وهو الجواد الكريم، والمعروف في كثرة أمواله وخَدَمه وحشمه يوم ذاك، وكانت تخدمها العبيد والإماء والأحرار، ويطوف حول بيتها ذوو الحوائج، وكان بيتها الرفيع وحرمها المنيع لا يضاهيه في العز والشرف وبعد الصيت إلا بيوت الخلفاء والملوك. فتركت ذلك كله لوجه الله، وانقطعت عن علائق الدنيا بأسرها في سبيل الله، وأعرضت عن زهرة الحياة من المال والبيت والزوج والولد والخدم والحشم، وصحبت أخاها الحسين عليه السلام ناصرة لدين الله، وباذلة للنفس والنفيس لإمامها ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، مع علمها بجميع ما يجري عليها من المصائب والنوائب، كما سمعته في حديث أم أيمن، مؤثرة الآخرة على الدنيا، والآخرة خير وأبقى.

ومن زهدها: ما روي عن إمامنا السجاد عليه السلام من أنها عليها السلام ما ادّخرت شيئاً من يومها لغدها أبداً.

عبادتها وانقطاعها إلى الله تعالى:

العبادة: لفظة مشتقة من العبودية، وهي: غاية الخضوع والتذلل، ولذلك كانت العبادة لله تعالى ولا تحسن لغيره، لأنه جل وعلا ولي كل نعمة، وغاية كل رغبة، وأكثر الناس عبادة هو أعرفهم بالله سبحانه، كالأنبياء والأئمة عليهم السلام. وكان النبي صلى الله عليه وآله يصلي الليل كله، وقد قام صلى الله عليه وآله عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورّمت قدماه واصفرّ وجهه، فأنزل الله عليه: ﴿طه، مَا أَنْزَلْنَا

عَلَيْكَ القُرْآنَ لتَشْقَى﴾ (طه: ١، ٢)، فقال ﷺ: (أفلا أكون عبداً شكوراً).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، ولم يترك النافلة حتى في الحروب، كما روي عنه ذلك في صلواته ليلة الهرير بصفين.

وكذلك كانت الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام تصلي عامة الليل، فإذا اتضح عمود الصبح أخذت تدعو للمؤمنين والمؤمنات. وكان الأئمة من ولدها عليهم السلام يُضرب بهم المثل في العبادة.

أما زينب عليها السلام -وهي من ذلك البيت الشريف- كانت في عبادتها ثانية أمها الزهراء عليها السلام، وكانت تقضي عامة لياليها بالتهجد وتلاوة القرآن. قال بعض ذوي الفضل: إنها عليها السلام ما تركت تهجّدها لله تعالى طول دهرها، حتى ليلة الحادي عشر من المحرم، وأنها صلت من جلوس كما روي عن السجاد عليه السلام.

وعن إمامنا السجاد عليه السلام أنه قال: (إن عمتي زينب مع تلك المصائب والمحن النازلة بها في طريقنا إلى الشام ما تركت نوافلها الليلية).

وروى بعض المتتبعين عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: (إن عمتي زينب عليها السلام كانت تؤدي صلواتها من قيام الفرائض والنوافل عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام، وفي بعض المنازل كانت تصلي من جلوس، فسألتها عن سبب ذلك فقالت: أصلي من جلوس لشدة الجوع والضعف منذ ثلاث ليال، لأنها كانت تقسّم ما يصيبها من الطعام على الأطفال، لأن القوم كانوا يدفعون لكل واحد منا رغيفاً واحداً من الخبز في اليوم والليلة).

وإذا تأمل المتأمل إلى ما كانت عليه هذه السيدة الطاهرة من العبادة لله تعالى والانقطاع إليه لم يشك في عصمتها عليها السلام، وأنها كانت من القانتات اللواتي وقفن حركاتهم وسكناتهن وأنفاسهن للباري تعالى، وبذلك حصلن على المنازل الرفيعة والدرجات العالية، التي حكت برفعتها منازل المرسلين ودرجات الأوصياء عليهم الصلاة والسلام.

(انظر كتاب: العقيلة والفواطم، حسين الشاكري: ص٤٧)

بنات أمير المؤمنين عليهم السلام

إعداد / وحدة الدراسات

يذكر بعض أرباب التاريخ أنه كان لأمير المؤمنين عليعليه السلام ثلاث بنات يسمين بـ(زينب) ويلقبن بـ(أم كلثوم):

١. زينب الصغرى: وقد توفيت في زمان الإمام الحسينعليه السلام في المدينة المنورة ودُفنت في البقيع، ولم يصلنا من أحوالها شيء يذكر حسب التتبع غير الكامل.

٢. زينب الوسطى: وهي المعروفة بأم كلثوم، وهي التي حضرت كربلاء وكانت تعين أختها (زينب الكبرى)، وهي صاحبة القضايا المعروفة في المقتل، وقد ناداها الإمام الحسينعليه السلام بقوله: (يا أم كلثوم..) كما نقل في مقتل أبي مخنف: (ص١٣١). وقد دفنت في مصر.

٣. زينب الكبرى: وهي المشهورة التي كانت شريكة الإمام الحسينعليه السلام في مسيرته إلى كربلاء وفي نهضته المباركة ضد الظلم والطغيان، ثم بعد استشهاد الإمام الحسينعليه السلام كانت زعيمة قافلة الأسرى إلى الكوفة، ثم إلى الشام، ثم الرجوع إلى كربلاء في يوم الأربعين، ثم العودة إلى المدينة المنورة..

ثم أُبعدت عن وطن جدها إلى الشام لتكون قريبة من مركز السلطة ليزيد وتحت سيطرته ورقابته، وقد توفيت هناك ودفنت في مقامها المشهور الآن حيث تزار.

والبنتان زوّجتا بأبناء عمهما: أولاد جعفر بن أبي طالب المعروف بالطيار (رضوان الله عليه). وقد رزقت زينب الكبرىعليها السلام من زوجها (عبد الله بن جعفر) ثمانية أولاد، كما ذكره المؤرخون.

وقال بعضهم: إنه كان لسيدتنا زينبعليها السلام خمسة أبناء من ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار: أربعة ذكور (علي، محمد، عباس، عون) وبنت واحدة هي (أم كلثوم) واستشهد اثنان من أبنائها في كربلاء في نصرة الإمام الحسينعليه السلام هما (محمد وعون).

أعِدْ لها أموالَها

يروى أن بعض العلماء الماضين رحمهم الله قد سافر من العراق إلى الحج عن طريق سوريا، فيقول: لبثنا بضعة أيام في دمشق، وكانت هذه زيارتنا الأولى للسيدة زينب عليها السلام، وكانت بقعتها في منطقة لا شيء فيها من الأبنية وما شابه، وبينها وبين دمشق أكثر من فرسخ، وقد شاهدنا في سفرتنا هذه بعض الكرامات، منها:

ذات مرة سمعنا أن امرأة عراقية سُرقت منها أموالها في دمشق فالتجأت إلى حرم السيدة زينب عليها السلام تضج إلى الله وتتوسل ببنت أمير المؤمنين عليه السلام في أمرها.

فكانت تقول: سيدتي، كيف أرجع إلى العراق وليست لي نفقة السفر ولا أملك زاداً ولا راحلة؟ ومن أين آتي بالمال؟ سيدتي، أريد منك أن ترديّ عليّ أموالي من دون أن يُفتضح السارق.

ومن كثرة ضجتها اجتمع الناس حولها، وسألها إنسان خيّر: كم مقدار المال الذي سُرق منك؟

قالت: كمية كبيرة.

فأخذوا فيما بينهم يجمعون لها المال، ثم قدّموه إليها بعنوان الهدية، لكن المرأة أبت قبول ذلك أشد الإباء، قائلة: إني لا أريد إلا المال المسروق، فإن السيدة زينب عليها السلام تعلم بالسارق، فاللازم أن ترده إليّ.. وأخذت ثانية في الضجة والبكاء.

وبعد ذلك وقبل حلول الظهيرة علمنا بأن المال المسروق أُعيد إليها، وذلك على يد السارق نفسه، حيث جاء رجل إلى حرم السيدة عليها السلام فزعاً وأعطاها المال المصرور في كيسه قائلاً: أنا سرقتُ هذه الصرَّة، وقبل مجيئي كنتُ في المنام، وإذا بيّ أرى السيدة زينب عليها السلام تقول لي: (قم واذهب إلى حرمي ورد المال لصاحبته وهي ملتصقة بضريحي وتتوسل إليّ)، ثم هددتني إن لم أفعل ذلك، فقمت من المنام فزعاً، خوفاً منها وجئت بالمال.

شاعر العقيلة

إعداد / المحرر

رغم كثرة ما قيل من الشعر في مدح أهل البيت عليهم السلام ورثائهم.. فإنّ قصائد السيد حيدر الحلّي رحمه الله ما زالت متألّقة ومتفوّقة في سماء الشعر والأدب، فقوّة التعبير، وجمال الوَصف ومميّزات أخرى تجعل الإنسان حائراً أمام هذا المستوى الرفيع من الشعر، والبيان الساحر، والصياغة الرائعة الفريدة!

ولا عَجَبَ من ذلك، فقد ذُكر أنّه كان يُجري على بعض قصائده لَمسات فاحصة، يقوم خلالها بالتغيير والتعديل والتجميل، ويَستمرّ على هذا المنوال مدة سنة كاملة، ولذلك سُميت بعض قصائده بـ(الحوليّات) على غرار الحوليات المعروفة.

أمّا شعره عن السيدة زينب الكبرى عليها السلام، فإنك لم تجد فيه التصريح باسم السيدة زينب عليها السلام، رغم أنّه يتحدّث عنها وعن مصائبها الأليمة في كثير من قصائده الحسينيّة الرائعة!

فكأنّ التهيّب والحياء ورعاية الأدب في السيد رحمه الله، وجلالة وعظمة مقام السيدة زينب عليها السلام، وَضعت أمامه حدوداً آلى على نفسه أن لا يتخطّاها، ومنها التصريح باسمها عند ذكر مصائبها، إذ من الصعب عليه -وهو الإبن البارّ الغيور- أن يُصرّح بتفاصيل المأساة، فشخصيّة السيدة عليها السلام عظيمة فوق كلّ ما يتصوّر، ومصائبها هي في شدّة الفظاعة، فهو لا يذكر اسمها بل يُشير ويُلمّح، (والكناية أبلغ من التصريح).. ولعلّ الرعشة كانت تستولي على فكره وقريحته وقلمه، فتمنعه من التصريح، وانهمار الدموع لم يكن يسمح له أن يُبصر ما يكتُب! فاكتفى أن يحومَ حول الحِمى والحدود فقط.

ففي إحدى قصائده الخالدة يقول:

خُذي يا قلوبَ الطالبيّين قُرحَةً ... تزول الليالي وهي دامية القرف
فإنّ التي لم تبرح الخِدر أبرزَت ... عَشيّةَ لا كهفٌ فتأوي إلى كَهف
وقد كان من فرط الخفارة صوتها ... يُغَضُّ فغُضّ اليوم من شدّة الضَعف
وهاتفة ناحت على فقد إلفها ... كما هتفت بالدَوح فاقدة الإلف
لقد فَزِعَت من هجمة القوم وُلَّهاً ... إلى ابن أبيها وهو فوق الثرى مُغفي
فنادت عليه حين ألفته عارياً ... على جسمه تسفي صبا الريح ما تَسفي
حَملتُ الرزايا قبل يومك كلّها ... فما أنقَضَت ظهري ولا أوهَنَت كَتفي

ويقول رحمه الله في قصيدة أخرى، يَصفُ فيها ساعة الهجوم على مُخيّمات الإمام الحسين عليه السلام بَعدَ مقتله:

وحائرات أطارَ القومُ أعينَها ... رُعباً غداة عليها خدرَها هجموا
فغودرَت بين أيدي القوم حاسرةً ... تُسبى وليس ترى مَن فيه تعتصمُ

(انظر: زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد، للقزويني، ص: ٦٣٩)

تنبيه: تحتوي النشرة على أسماء الله تعالى والمعصومين عليهم السلام، فالرجاء عدم القائها على الأرض. كما ننوه بأنه لا يجوز شرعاً لمس تلك الكلمات المقدسة إلا بعد الوضوء والكون على الطهارة. كما نرجو من الإخوة المؤمنين المحافظة على النشرة وعدم استخدامها لحجز مكان لصلاة الجماعة أو الزيارة؛ فإنها تتعرض للإهانة بسبب سحقها بالأقدام نتيجةً لعدم الانتباه لها.

ذكرى عقيلة الطالبيين

زورونا على الموقع: www.alkafeel.net ـ راسلونا على: nashra@alkafeel.net

تحرير: منير الحزامي ـ التدقيق اللغوي: مصطفى كامل الخفاجي

التصميم والإخراج: أحمد السيلاوي